ظاهرة تعاطي المخدرات في العراق وعلاقتها بالصحة النفسية (دراسة نظرية)

م. د زهراء خضير راشد
وزارة التربية / مديرية تربية الكرخ الاولى/مدرسة المازني الابتدائية
Zahraakhudhair75@gmail.com
07727422405

المستخلص
الإدمان على المخدرات ظاهرة اجتماعية رافقت البشرية منذ العصور القديمة، وأصبحت واحدة من أبرز المشكلات التي تعكس قمة المعاناة والألم التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية. لقد اجتاحت هذه الظاهرة بلداناً نامية ومتطورة على حد سواء، وانتشرت بين فئات متنوعة من الناس، سواء كانوا من الطبقات الفقيرة أو الغنية، في المناطق الريفية أو الحضرية، وبين الأفراد من جميع الأعمار، ذكوراً وإناثاً. كما بدأت هذه الظاهرة تنتقل من منطقة إلى أخرى، سواء من حيث التعاطي أو التصنيع أو الزراعة والإدمان. وتزداد خطورة هذه المشكلة كونها تؤثر على الفئة الأكثر نشاطاً وهي فئة الشباب، التي تُعتبر أساس الإنتاج وعماد التنمية. بالإضافة إلى ذلك، فإن لها آثاراً نفسية واجتماعية وصحية واقتصادية سلبية، سواء على المدمن نفسه (الذي يعاني من "الانتحار البطيء") أو على الأسرة والمجتمع بشكل عام.
يساهم إدمان المخدرات في زيادة خطر الإصابة بالأمراض المعدية، مثل فيروس نقص المناعة البشرية (الإيدز) وفيروس سي، نتيجة تبادل الحقن بين المتعاطين. بالإضافة إلى ذلك، تؤدي أضرار المخدرات إلى ظهور تشوهات في الوجه، تشمل جروحًا وندبات ناتجة عن حب الشباب.
الكلمات المفتاحية : الادمان، المخدرات، الصحة النفسية

The phenomenon of drug abuse in Iraq and its relationship to mental health (a theoretical study)

Abstract
Drug addiction is a serious social scourge that has accompanied humanity since ancient times and has developed with its development and has become one of the contemporary problems that represent the peak of suffering and misery. that human societies have reached, sweeping through developing and developed countries and spreading among diverse groups and communities, poor and rich, rural and urban, and among individuals, young and old, males and females, then began to move from one region to another in cultivation, manufacturing, use and addiction. What increases its danger is that it affects the active group in society, which is the youth group, which is the basis of production and the pillar of development. This is in addition to its negative psychological, social, health and economic effects, whether for the addict himself (slow suicide) or for the family or society in general. Drug addiction also causes exposure to infectious diseases such as AIDS and hepatitis C due to the circulation of drug injections from one person to another. Drug damage also leads to facial deformities including facial wounds and scars resulting from acne. Keywords: (Addiction, Drugs, Mental Health)

مشكلة البحث
قبل عام 2003، كان العراق يُعتبر نقطة عبور للمخدرات إلى دول الخليج وأوروبا. لكن الظروف تغيرت، وأصبح العراق الآن متعاطياً ومروجاً، بالإضافة إلى كونه محطة لزراعة المخدرات وتصنيعها، مع استمراره في كونه معبراً لهذه المواد.، الا ان بعد 2003 ونتيجه لحاله الفوضى وضعف مؤسسات انقاذ

القانون تسعى بعض المجموعات الى استغلال الوضع الامني الهش لاجل تحصيل الكثير من المكاسب المختلفه كما ان الاشكاليات والمشاكل السياسيه والدستوريه استغلتها بعض القوى السياسيه المتنفذه لتعزيز مواردها الماليه وموضوعات الاتجار بالسلاح والمخدرات والتهريب وغيرها.

فالظروف النفسيه والاجهاد الشديد الذي يعاني منه افراد المجتمع بسبب الارهاب والظروف الاجتماعيه والاقتصاديه غير المستقره التي تواجه العراق في الوقت الراهن ويمكن ان نلاحظ ذلك في مشكله البطاله التي تشكل تربه خصبه لتنامي مشكله سوء استعمال المخدرات خاصه بين الشباب العاطلين كما ان الضغوطات الشديده تجعلهم يلجاون الى ادويه والوصفات الطبيه التي استخدامها ومنها البنزوديازينات والمنشطات والترامادول.

اهمية البحث

يمثل الشباب النسبة الأكبر من مستخدمي المخدرات والمؤثرات العقلية في المحافظات. ، اذ تصل نسبتهم إلى 91.2% من الموقوفين. وينتمي حوالي 38% من هؤلاء الشباب إلى أسر فقيرة، بينما يتوزع الباقون على أسر تعيش فوق خط الفقر بقليل، بنسبة 57%. ومن المهم الإشارة إلى أن معظم أسر المتعاطين تتميز بكثافتها العددية، حيث يتجاوز عدد أفراد الأسرة الخمسة. (الحمود، 2017، ص29)

من الناحية الاجتماعية، يشكل هؤلاء الأفراد خطرًا على حياة الآخرين، كما أنهم يعرضون أنفسهم للخطر نتيجة تعاطيهم، مما قد يؤدي في النهاية إلى تحولهم إلى شخصيات سايكوباثية أو إجرامية، أو إلى أن يصبحوا حاقدين على المجتمع ويميلون إلى العدوان. ومع مرور الوقت، قد يصبحون ضحايا لأمراض نفسية أو يميلون إلى الانطواء وعدم الانخراط مع الآخرين في تطوير المجتمع.. تؤثر أضرار المخدرات بشكل كبير على الحياة الأسرية، حيث تؤدي إلى عدم القدرة على الوفاء بالمسؤوليات والالتزامات العائلية. ، مما يسبب نشوب خلافات زوجية وقد يصل الأمر إلى الطلاق. كما تسهم هذه الأضرار في تدهور الوضع المالي للأسرة، حيث يصبح الدخل غير كافٍ لتلبية الاحتياجات الأساسية، مما يؤدي إلى تشريد الأطفال وتركهم للمدرسة. وهذا بدوره قد يدفع الأبناء إلى الرغبة في التجربة وتقليد سلوكيات آبائهم، مما يزيد من خطر وقوعهم في فخ الإدمان.(رفعت،1989،ص43)

تحديد المصطلحات

اولاً: المخدرات

عرفتها منظمة الصحة العالمية هي مواد كيميائيه تؤثر على الجهاز العصبي المركزي وتستخدم لتغيير او التاثير على الوظائف العقليه والجسديه ،ويمكن ان تكون المخدرات مواد مشروعه مثل الادويه التي تستخدم لاغراض طبيه او غير مشروعه مثل الحشيش والكوكايين عند استخدامها بشكل مفرط او بطريقه غير طبيه قد تؤدي الى الادمان والتدهور العقلي وتداعيات صحيه خطيره.

ثانياً: الصحة النفسية

عرفت منظمة الصحة العالمية الصحة النفسية بأنها حالة من الرفاهية والاستقلالية والقدرة على التكيف والكفاءة الذاتية التي تظهر عبر الأجيال، بالإضافة إلى الإمكانيات الفكرية والعاطفية للفرد.كما اكدت المنظمة أن رفاهية الفرد تشمل القدرة على التعرف على إمكانياته والتعامل مع ضغوط الحياة اليومية، بالإضافة إلى تحقيق الإنتاجية والمساهمة في المجتمع.

(Petel, 2020, p.321)

بعض النظريات التي تفسر ظاهرة استخدام المخدرات.

نظريات نقص التغذيه_

تركز هذه النظريه على فكره اساسيه مضمونها ان الدوبامين ماده منشطه للجهاز العصبي والادمان سببه نمط وراثي لبعض الخصائص الايضيه الفرديه التي تؤدي الى الحاجه المتزايده الى الفيتامين، فمثلا الادمان الكحولي يرجع الى نقص فيتامين(بي 1) في الجسم كما اكدت الدراسات ان نتيجه لنقص الثيامين بسبب

التعاطي المستمر الثقيل للكحوليات يؤدي الى احداث اصابه في منطقه ما حول البطين في الدماغ تظهر اساسا في اختلال ذاكره عند الشخص المدمن للكحوليات.(فريدة ،2009،ص46)

_النظريه المعرفيه

تستند هذه النظرية إلى الأهمية الكبيرة التي يلعبها اللمعتقد أو الافكار في ظهور الاضطرابات النفسية لدى الإنسان. كما أنها لا تتجاهل دور العوامل المؤثرة على السلوك والعواطف، سواء كانت بيئية أو كيميائية. وفقًا لهذه النظرية، يُعتبر العنصر المعرفي هو العامل الوسيط الذي يترجم الأحداث الخارجية ويؤدي إلى استجابة انفعالية. الاضطراب النفسي ينجم عن التفسيرات الداخلية للمنبهات التي تصدر عن النفس أو البيئة المحيطة. وفقًا لأنصار هذه النظرية، يمكن أن يتعرض الفرد للاضطراب بطرق متعددة، مثل القلق و الاكتئاب، أو حتى الإدمان على المخدرات. يشير (أليس وآخرون، 1988) إلى أن الطرق المعرفية الأساسية التي تؤدي إلى الإدمان وتساعد على ديمومته تتمثل في "التحمل المنخفض للإحباط". بالإضافة إلى ذلك، هناك ثلاث نماذج نظرية تعزز السلوك العام وتساعد على استمراره، وهي: الانسحاب كنموذج للتعامل مع المواقف الصعبة، والانسحاب الكحولي الذي يعكس عدم الشعور قيمة الذات، وأخيرًا نموذج الحالة المثيرة. كما يؤكد ليز وفرانز على أن تعديل المزاج يلعب دورًا مهمًا في سلوك تعاطي المخدرات. أو الإدمان، يمتلك المدمنون اعتقادات قوية بشأن تأثير المخدرات على المزاج. يعتقدون أن بعض الأنواع تساعد في تخفيف الشعور بالملل، بينما تعمل أخرى على تحقيق الاسترخاء، وهناك أنواع تمنحهم الطاقة والشعور بالقوة..(رفعت،1989،ص101)

_التفسير البيولوجي للادمان

_الماده المخدره يكون لها تاثير على المستقبلات العصبيه في الخلايا حيث تحتوي على مواد مسكنه للالم تفرز في اماكن خاصه في الجهاز العصبي، وهي تشبه الى حد كبير مشتقات الافيون وعندما يدخل الانسان هذه المواد الى جسمه من الخارج فانها تعمل على وقف الافرازات الداخليه لهذه المواد وذلك لوجود زياده فيها في الجسم، وعندما يتوقف التعاطي فان المدمن يشعر بالالام الشديده لان الجسم اعتمد على ما يرد اليه من الخارج بعد ان توقف ما يفرزه من الداخل، فيضطر المدمن الى التعاطي مره ثانيه ليسكن الالم .ونتيجه لتكرار التعاطي لتعود المستقبلات الجسميه الداخليه على ما يرد اليها من الخارج وبالتدريج يقل تاثيرها عن المدمن مما يضطر الى زياده الكميه التي يتعاطاها.(الرويلي،2015،ص36)

اسباب تعاطي وادمان المخدرات

يعتقد محمد سلامة وباري أن هناك أسبابًا متعددة تدفع الأفراد إلى تعاطي المخدرات، حيث يعود معظمها إلى الوهم والجهل وسوء الفهم. ومن بين هذه الأسباب:

1_ لسعي للحصول على المتعة والسرور، تعتبر هذه الحالة عادةً وهمية ومؤقتة.

2_ الظروف الاجتماعية والأسرية غير المناسبة، مثل تفكك الأسرة أو انحراف أحد الوالدين، إلى جانب رفقة السوء والعادات الضارة.

3. الهروب من مشاكل الحياة وضغوطاتها، أو من علامات عدم التوافق الشخصي أو الاجتماعي في المنزل أو المدرسة أو مكان العمل.

4. علاوة على ذلك، يُلاحظ تجاهل الأبوين للطفل أو المراهق، وهروب الأب من تحمل مسؤولياته، بالإضافة إلى غياب الطموحات لدى الأبوين تجاه مستقبل الطفل، مما يؤدي إلى نشوب صراعات مستمرة بينهما أمام الأطفال أو المراهقين.

5. أيضًا، فإن تراجع الدافع الديني لدى الأفراد ، وعدم قيام المجتمع أو الاسرة أو المدرسة بتسليط الضوء على الأوامر والنواهي الدينية المتعلقة بالمخدرات بشكل مناسب، يُعتبر من العوامل المؤثرة.

6_ التعامل غير السليم من قبل بعض وسائل الإعلام مع قضية المخدرات واستخدامها يفتح المجال أمام غير المتخصصين للتحدث عنها بأسلوب غير علمي.(المهندي،2013،ص64)

علاقه المخدرات بالصحه النفسيه

أظهرت الدراسات والأبحاث النفسية والاجتماعية أن الإدمان ينتشر بشكل أكبر بين أربع أنواع من الشخصيات، وهي: الشخصية الاكتئابية، المتهيبة اجتماعياً، المكروبة، والشخصية السيكوباتية. تتفاوت شدة الاضطرابات النفسية الناتجة عن إدمان المخدرات، لكنها تتشارك في كونها ناتجة عن الاستخدام غير السليم لعقار واحد أو مجموعة من العقاقير..

وتتمثل هذه الاضطرابات فيما يلي:

أ.الاضطرابات الاكتئابيه ، ب. اضطرابات القلق، ج.اضطرابات الوسواس القهري، د. الاضطرابات الذهانية

توصلت دراسة (الرشيدي، 2009) إلى أن أبرز التداعيات الاجتماعية الناتجة عن استخدام المخدرات تشمل: البطالة، التحرش بالنساء، والفقر. كما أن المدمن يفقد القدرة على التواصل مع الآخرين، مما يؤدي إلى عجز المجتمعات عن الاعتماد على ذاتها. يساهم الإدمان في تدهور التكيف في العلاقات الزوجية ويؤدي إلى ضعف الضمير الإنساني. ويبدو أن الأفراد الأكثر تأثراً بالإدمان هم أولئك الذين يمتلكون مستوى تعليمي منخفض، بالإضافة إلى كبار السن وسكان المناطق الحضرية. (الزيدي، 2019، ص 32).

واشارت دراسه (اندريو، 2012) عن العلاقه بين اضطراب ما بعد الصدمه والاكتئاب وتعاطي المخدرات والصحه العقليه والصحه البدنيه لدى الاشخاص الذين يعانون مرض عقلي حاد لديهم مشاكل من التعافي بسبب انخفاض الصحه العقليه والبدنيه وزياده تعاطي المخدرات .

من خلال مراجعة الدراسات السابقة، اكتشف الباحثون أن الأفراد الذين يتعاطون المخدرات يشعرون بقلق أكبر تجاه المستقبل. واكثر عرضه للاصابه بالاضطرابات النفسيه مثل الاكتئاب والهلع وانهم اقل رضا عن حياتهم من اقرانهم من الاشخاص الذين يتعاطون المخدرات. فقد وضحت الدراسات السابقه بان الشاب المتعاطي اقل شعورا بالسعاده والاستقرار والقيم الاجتماعيه كذلك ان تعرض الشخص المتعاطي للضغوط فانه اما يلجأ الى الهروب والتجنب او الانفعال المبالغ به على عكس الشاب الغير المتعاطي الذي يلجأ الى الاستراتيجيات للتعاون مع الضغوط.(صادقي،2014،ص199)

التوصيات

_ اقامه برامج توعويه عن اخطار ظاهره تعاطي المخدرات واثارها على الصحه النفسيه والجسديه تستهدف المراهقين والشباب

_ استخدام وسائل الاعلام في اظهار الاسباب المهمه في لجوء المراهقين والشباب لتعاطي المخدرات

المصادر

_ الحمود،علي طاهر (2017). "المخدرات في العراق ملاحظات ميدانية في المحافظات الجنوبية" ،مركز البيان للدراسات و التخطيط،العدد 15،دار الكتب و الوثائق ،بغداد.

_ الرويلي،فليح فتال راطي(2015)."اثر برنامج ارشاد جمعي في تخفيف الاكتئاب و تحسين تقدير الذات لدى عينة من مدمني المخدرات في المملكة العربية السعودية" ،رسالة ماجستير منشورة ،جامعة مؤتة ،اربد،الاردن.

_ الزيدي، كاظم(2019). "جريمة تعاطي المخدرات" ،جمهورية العراق،مجلس القضاء الاعلى .

_ المهندي، خالد حمد (2013). "المخدرات و اثارها النفسية و الاجتماعية و الاقتصادية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي ،وحدة الدراسات والبحوث ،الدوحة ،قطر.

_ رفعت ،محمد(1989). "ادمان المخدرات اضرارها و علاجها" ،ط3، بيروت ،دار المعرفة للطباعة والنشر

_ صادقي،فاطمة (2014). "الاثار النفسية للادمان على المخدرات" .مجلة مخبر تطوير الممارسات النفسية و التربوية ،الجزائر،عدد (12).

_ فريدة، قماز (2009). "عوامل الخطر و الوقاية من تعاطي الشباب للمخدرات" ،رسالة ماجستير منشورة ،جامعة منتوري،الجزائر.

Patel, v.,princ.m. (2020). Global mental health-a new global health field comes of age .jama,303,1976_1987.